

مَنَزَلُ الْأَقْنَانِ



العودة - يبرق
بدرش كرا السياب
المدح

إهداء ٢٠٠٧

ة المرحوم الدكتور / السيد عبد الحليم الريات

جمهورية مصر العربية

منزل الاقنان

بدر شاكر السياب

منزل الأقبان

دار العودة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة في العالم العربي

لدار العودة - بيروت

١٩٧١

رحل النهار

رحل النهار
ها إنه انطفأت ذبائله على أفقٍ توهج دون نار
وجلستِ تنتظرين عودة سندان من السفار
والبحرُ يصرخ من ورائك بالعواصف والرعود .
هو لن يعود ،
أوما علمتِ بأنه أسرته آلهة البحار
في قلعة سوداء في جزرٍ من الدم والمحار .
هو لن يعود ،
رحل النهار
فلترجلي ، هو لن يعود .

الأفق غابات من السحب الثقيلة والريعود ،
الموت من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار
الموت من أمطارهنّ وبعض أرمدة النهار
الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهار
رحل النهار
رحل النهار .

وكانّ معصمك اليسار
وكانّ ساعدك اليسار ، وراء ساعته ، فنار
في شاطئ الموت يحلم بالسفين على انتظار .
رحل النهار
هيهات أن يقف الزمان ، تمر حتى بالحدود
خطى الزمان وبالبحار .
رحل النهار ولن يعود .

الأفق غابات من السحب الثقيلة والريعود
الموت من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار
الموت من أمطارهنّ وبعض أرمدة النهار

الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهال

رحل النهار

رحل النهار .

خصلات شعرك لم يَصْنُها سندباد من الدمار ،

شربت أجاج الماء حتى شاب أشقرها وغار

ورسائل الحب الكثار

مبتلة بالماء منطمس بها ألَقِ الوعود

وجلستِ تنتظرين هائمة الخواطر في دوار :

« سيعود . لا . غرق السفين من المحيط إلى القرار

سيعود . لا . حجزته صارخة العواصف في إسار .

يا سندباد ، أما تعود ؟

كاد الشباب يزول ، تنطفئ الزنابق في الحدود

فحتى تعود ؟

أوآه ، مدّ يديك بين القلب عالمه الجديد

بهما ويحطم عالم الدم والأظافر والسعار ،

يبني ولو لهنية دنياه .

آه متى تعود ؟

أترى ستعرف ما سيعرف ، كلما انطفأ النهار ،
صمت الأصابع من بروق الغيب في ظلم الوجود ؟
دعني لأخذ قبضتيك ، كماء ثلج في انهار
من حيثما وجهت طرفي .. ماء ثلج في انهار
في راحتي يسيل ، في قلبي يصب إلى القرار .
يا طالما بهما حملت كزهرتين على غدير
تفتحان على متاهة عزلي . »

رحل النهار

والبحر متسع وخاوٍ . لا غناء سوى الهدير
وما يبين سوى شراعٍ رنحته العاصفات ، وما يطير
إلا فؤادك فوق سطح الماء يخفق في انتظار .

رحل النهار

فلترجلي ، رحل النهار

بيروت ١٩٦٢/٦/٢٧

هدير البحر والاشواق

هدير البحر يقتل من دمائي ، من شرابيني
جبال سفينة بيضاء ينعس فوقها القمر
ويرُعرش ظلّها السحر .
ومن شبّاكيّ المفتوح تهمس بي وتأتيني
سماء الصيف خلّفت طيفه في صحوها المطر .
ونحن نسير ، والدنيا تسير وتقرع الأبواب
فتوقظ من رؤاه القلب : ذاك عدوك الزمن
تدور رحاه .. كم ستظلّ تخفق ؟ ها هم الأصحاب
تراب منه تمتلئ الدروب وتشرب الدمن !

يودّ القلبُ لو حطّمته ، لو حطمتْ خفقاته شفتيكِ

والكتفين والصدرا ،

ولو ذرتك من زفراقي الحرى
رياح الوجد والحرمان . والهفي على عينيكِ
ليتها تمران

بدمع أو بإشفاقٍ على صحراء حرمانى
لينبت في مداها الزهر . ليتها تمرانِ ،
بما نسج التأمل من غيوم فيها حيرى
بما نسج التفرد من نجومٍ فيها سكرى ،
على عمري الذي عراه من زهراته الداءُ .
يود القلب لو حطمته لو حطمتْ خفقاته شفتيكِ
والكتفين والصدرا

ولو عراكِ ، لو ذراكِ ، لو أكلتكِ أشواقى
ولو أصبحتِ خفقا أو دماءً فيه أو سراً
فإن أحبتك الحب الذي أقسى من الموت
وأعنف من لظى البركان والحب الذي يأتي
إليّ كأنّ نفخ الصور فيه ، فكل ذر الميتين دمٌ وأحياء

فذاك لأنك النور الذي عرّى دجى الأعمى
وأنت صباي عاد إليّ ، أختاً عاد أو أما .
وأنت حبيبي ، أفديك ، أفدي خفق جفنيك
وما نفضا من السحب
وافدي خفق نهديك
على قلبي !

بيروت ١٩٦٢/٧/١

نداء الموت

يمدّون أعناقهم من ألوف القبور يصيحون بي :
أن تعال ،

نداء يشق العروق ، يهزّ المشاش ، يبعثر قلبي رمادا
« أصيل هنا مُشعل في الظلال
تعال اشتعل فيه حتى الزوال » .

جدودي وآبائي الأولون سراب على حد جفني تهادى .
وبي جذوة من حريق الحياة تريد المحال .
وغيلان يدعو « أبي سر » ، فاني على الدرب ماشٍ أريد
الصباح .
وتدعو من القبر أمتي « بني احتضني فبرد الردى في عروقي

فدفء عظامي بما قد كسوت ذراعيك والصدر ، واحمـ
الجراح

جراحي بقلبك أو مقلتيك ولا تحرفن الخطى عن طريقي ،
ولا شيء إلا إلى الموت يدعو ويصرخ ، فيما يزول ،
خريف ، شتاء ، أصيل ، أقول .

وباقٍ هو الليلُ بعد انطفاء البروقِ
وباقٍ هو الموت ، أبقى وأخلد من كل ما في الحياة .
فيا قبرها افتح ذراعيك ...

إني لآتٍ بلا ضجةٍ ، دون آه !

بيروت - ١٠/٥/٠٠

ربيع الجنادر

سلاماً بلاد اللظى والخراب
وماوى اليتامى وأرض القبور ،
أتى الفيث وانحلّ عقد السحاب
فروى ثرى جائعاً للبذور .
وذاب الجناح الحديد
على حرّة الفجر تغسل في كل ركن بقايا شهيد
وتبحث عن ظامئات الجنود .
وما عاد صبحك ناراً تققق غضبي وتزرع ليلاً
وأشلاء قتلى
وتنفث قابيل في كلّ نارٍ يسفّ الصيد

وأصبحت في هدأةٍ تسمعين نافورةً من هتاف
لديكِ يبشّر أن الدجى قد تولّى
وأصبحت تستقبلين الصباح المطلاّ
بتكبرةٍ من ألوف المآذن كانت تخاف
فتأوي إلى عاريات الجبال
تبرقع أصداءها بالرمال .

* * *

بماذا ستستقبلين الربيع ؟
ببقايا من الأعظم الباليه
لها شعله رشّت الداليه ،
تعمير العناقيد لون النجيع .
وفي جانبي كل درب حزين
عيون تحدّق ، تحت الثرى
تحدّق في عورة العاجزين .
لو تستطيع الكلام
لصبّت على الظالمين

حيماً من اللعنات ، من العار ، من كل غيظ دفين .
ربيعك يَمْضَغ قَيْنَحَ السلام .

* * *

بيوتك تبقى طوال المساء
مفتحةً فيك أبوابها
لعل المجاهد بعد انطفاء اللهب وبعد النوى والعناء
يعود إلى الدار يدفن تحت الغطاء
جراحاً ، يفرّ إليه الصغار ترفرف أثوابها
يصيحون « بابا » فيفطر قلب السماء
— « وماذا حملت لنا من هديته ؟ »
— « غداً ضاحكاً أطلعتَه الدماء . »
وكم دارةٍ في أقاصي الدروب القصية
مفتحة الباب ، تقرعه الريح في آخر الليل قرعاً
فتخرج أم الصغار
ومصباحها في يدٍ أرعش الوجد منها ،
يرود الدجى ، ما أثار

سوى الدرب قفر المدى ، وهي تصغي وترهف سمعا
وما تحمل الريح إلا نباح الكلاب البعيد ،
فتخفت مصباحها من جديد

* * *

« ولما استرحنا بكينا الرفاق ! »
هماس لأنيس^(١) عبر القرون
وها أنتِ تدمع فيك العيون
وتبكين قتلاك .

نامت وغى فاستفاق
بك الحزن : عاد اليتامى يتامى ،
ردى عاد ما ظن يوماً فراق .
سلاماً بلاد الشكالى ، بلاد الأيامى
سلاما
سلاما ...

بيروت : ٧ / ٦ / ١٩٦٢

(١) بطل « انباذة » فرجيل .

خذيـني

خذيـني أطرّ في أعالي السـماء
صدي غنوةٍ ، كركراتٍ ، سحابه !
خذيـني فإن صخور الكآبه
تشدّ بروحي إلى قاع بحرٍ بعيد القرارِ
خذيـني أكن في دجـاك الضياء
ولا تتركيني لليل القفارِ .
إذا شئتِ ألا تكوني لناري
وقوداً ، فكوني حريقاً .
إذا شئتِ أن تخلُصي من إساري ،
فلا تتركيني طليقاً .

خذيّني إلى صدرك المثلّـل
بهمّ السنين .

خذيّني فإني حزين
ولا تتركيني على الدرب وحدي أسير إلى المهمل .
وكانت دروبي خيوط اشتياق
ووجدت وحبّـ

إلى منزل في العراق
تضيء نوافذه ليل قلبي ،
إلى زوجة كان فيها هنائي
وكانت سمائي

كواكبها ترمم الدرب ، دربي .
وهبت عليها رياح سموم
تبعث خيطان تلك الدروب البعيدة ،
فعادت جذى كل تلك النجوم
صُلبت عليها ، وعادت مسامير نعشـ
وعادت دروبي درياً إذا جئت أمشي

رماني إليك ، كوزنٍ يقود القصيده .
 فوا لهف قلبي عليكِ !
 ودررب رماني إليكِ !
 أما تعلمين بأني تشهيتك البارحه
 أشم رداءكِ حتى كأني
 سجين يعود إلى داره يتنشق جدرانها :
 هنا صدرها ، قلبها كان يخفق - كان التمني
 يدغدغه ، يُشعل الشوق فيه إلى غيمةٍ رائحه
 لأرض الحبيب : مستنضع أركانها
 بذوب نداها .
 تشهيتك البارحه
 فقبلت ردن الرداء : هنا ساعداها ،
 هنا إبطها ، يا لكهف الخيال
 ومرفأ ثفري إذا جرفتـه رياح ابتهاال
 ودحرجه مدئ شوقٍ ملحٍ ، وقد حار فيه السؤال :
 د تحيينني أنتِ ؟ هل تحجلين ؟

أم استنزفت شوقك الكبرياء
 فلم يبقَ إلا ابتسام الرثاء ؟
 أترثين لي أم ترى تشفقين
 على قلبك انهدت تحت الصليب المعلق في صخرة الكبرياء ؟
 نباح الكلاب المبعثر في وشوشات النخيل
 ينبثه في قلبي الذكريات العتاق
 ويربط دقات قلبي بأرض العراق
 لأسمع « بابا » فيطفأ حي وتبرد نار الغليل
 وأعدو على الدرب سدّت خطاي عليه
 نوافذ بيتي تجمد فيها الضياء :
 تغربت عنه وعدتُ إليه .

بيروت ١٩٦٢/٧/٣

حامل الخرز الملون

ماذا حملت لها سوى الخرز الملون والضباب ؟
ما خضتَ في ظلمات بحر أو فتحت كوى الصخور
والرياح ما خطفت قلوبك ، والسحاب
ما بلّ ثوبك . ما حملتَ لها سوى الدم والعذاب .
في سجنها هي ، خلف سور .
في سجنها هي ، وهو من ألم وفقر واغتراب .
عشر من السنوات مرّت وهي تجلس في ارتقاب :
أطفالها المتوثبون مع الصباح
صمتوا وكفّوا عن مراح ،
زجرتهم لتُحسن وقع خطاك . برعت الزهور

وأتى الربيع وما أتيت ، وجاء صيفٌ ثم راح .
ماذا يعيقك في سواحل ثائباتٍ ؟ في قصور
قفر يعيش الغول فيها ، كلما رمت الرياح
بخطام صاريةٍ تحفّز ؟ ما يعيقك عن رجوع ؟
لم تبق للقد من دموع
في مقلتيها ، لا ولم يبق ابتسامٌ للقاء !
ستعود ، حين تعود ، بالخرز الملوّن والهباء ،
ستضم منها طيف أمس ، فلا يُجيبك في الضلوع
منها سوى دمك المفجّع والخواه !

بيروت ١٩٦٢/٥/٩

سفر أيوب

١

لَكَ الْحَمْدُ مِمَّا اسْتَطَالَ الْبَلَاءُ
وَمِمَّا اسْتَبَدَّ الْأَلَمُ ،
لَكَ الْحَمْدُ ، إِنْ الرِّزَايَا عَطَاءُ
وَإِنْ الْمَصِيبَاتُ بَعْضُ الْكَرَمِ .
أَلَمْ تُعْطِنِي أَنْتَ هَذَا الظَّلَامَ
وَأَعْطَيْتَنِي أَنْتَ هَذَا السَّحَرُ ؟
فَهَلْ تَشْكُرُ الْأَرْضُ قَطْرَ الْمَطَرِ
وَتَقْضِبُ إِنْ لَمْ يَجِدْهَا الْغِيَامُ ؟
شَهْرٌ طَوَالَ وَهَذِي الْجِرَاحُ
تَمَزَّقَ جَنِيٌّ مِثْلَ الْمُدَى

ولا يهدأ الداءُ عند الصباح
 ولا يسح اللئيلُ أوجاعه بالردى .
 ولكنَّ أيُّوبَ إنَّ صاح صاح :
 « لك الحمد » ، ان الرزايا ندى ،
 وإن الجراحَ هدايا الحبيبِ
 أضْمُ إلى الصَّدْرِ باقَاتِها ،
 هداياك في خافقي لا تغيب ،
 هداياك مقبولةٌ . هايتها ! ،
 أشدَّ جراحِي وأهتف بالعائدين :
 « ألا فانظروا واحسدوني ، فهذي هدايا جبيي . »
 وإن مسَّت النارُ حرَّ الجبين
 توهمَتْها قُبلةٌ منكَ مجبولةٌ من لُهبٍ .
 جميلٌ هو الشَّهْدُ أرعى سَمَاكَ
 بمعنى حق تغيبَ النجومُ
 ويلسَ شَبَاكَ داري سناكَ .
 جميلٌ هو الليل : أصداء يوم

وأبواقُ سيارَةٍ من بعيد
وآهاتُ مرضى ، وأمّ تُعيد
أساطيرَ آباءها للوليد .
وغاباتُ ليلِ الشَّهادِ ، الغيوم
تُجِيبُ وَجْهَ السَّاءِ
وتجْلوه تحت القمر .
وإن صاحِ أَيْثوبُ كان النداءُ :
« لك الحمد يا رامياً بالقَدَرِ »
ويا كاتباً ، بَعْدَ ذاك ، الشِّفاء ! »

لندن ١٩٦٢/١٢/٢٦

من خَلَلِ الثلج الذي تنثّه السماء
 من خَلَلِ الضباب والمطر
 ألمح عينيك تشعان بلا انتهاء
 شعاع كوكب يغيب ساعة السحر
 وتقطران الدمع في سكون
 كأن أهدابها غصون
 تتطف بالندى مع الصباح في شتاء .
 من خلل الدخان والمداخن الضخام
 تمجّ من مغارٍ قابيل على الدروب والشجر
 ذرأ من النجيع والضرام

أسمع غيلانَ يناديكِ من الظلام
من نوّمةِ اليتيمِ في خرائبِ الضجرِ .
سمعتِ كيف دقّ بابنا القَدَرُ ؟
فارتعشتِ على ارتجافِ قرعِهِ ضلوعُ ؟
ورقِرتِ دموعُ ؟
فاختلسَ المسافرُ الوداعَ وانحدر ؟

* * *

وقبلَ بينِ فمي وخافقي تُحار
كأنها التائه في القفار
كأنها الطائرُ إذْ خرّبَ عشه الرياحُ والمطرُ ،
لم يحوها خدّ لفيلانَ ولا جبينُ
ووجهُ غيلانَ الذي غابَ عن المطار !!
وأنتِ إذْ وقفتِ في المدى تُلوّحين !!

* * *

إقبالُ ... إنَّ في دمي لوجهكِ انتظار ،
وفي يدي دمٌ ، إليكِ شدةُ الحنينِ .
لبيكِ تُقبِلين
من خَلَلِ الثلجِ الذي قنَّته السماء ،
من خَلَلِ الضبابِ والمطرِ !

لندن ١٩٦٢/١٢/٢٧

بعيداً عنك ، في جيڪور ، عن بيتي وأطفالي
 تشدُّ مخالبُ الصَّوانِ والأسفلتِ والضَّجَرِ
 على قلبي ، تمزَّق ما تبقى فيه من وترٍ
 يدندنُ : « يا سكونَ الليل ، يا أنشودةَ المطر » ،
 تشدُّ مخالبُ المالِ
 على بطني الذي ما مرَّ فيه الزادُ من دهرٍ .
 عيون الجوع والوحده

نجمي في دجى صارعتُ بين وحوشه برّده ،
 وإن البرد أفضعُ ، لا.. كأنَّ الجوعَ أفضعُ ، لا.. فإنَّ الداءَ
 يشلُّ خطاي ، يربطُها إلى دوامةِ القَدَرِ .

ولولا الداء صارعتُ الطوى والبرد والظلماء .
 بعيداً عنك أشعر أنني قد ضعت في الزحمة
 وبين نواجذ الفولاذ تمضغ أضلعي لقمه .
 يمرُّ بي الورى متراكضين كأنَّ على سَفَرٍ ،
 فهل أستوقف الخطوات ؟ أصرخُ : « أيا الإنسان
 أخي ، يا أنتَ ، يا قابيلُ .. » خذْ بيدي على القمَّة !
 أعنِّي ، خفِّفِ الآلامَ عني واطرد الأحزان ، ؟
 وأين سواكِ من أدعوه بين مقابر العَجَر ؟

* * *

ولولا الداء ما فارقتُ داري ، يا سنا داري
 وأحلى ما لقيتُ على خريف العُمُر من ثَمَر .
 هنا لا طيرَ في الأغصان تشدو غيرَ أطيَّارِ
 من الفولاذ تهدر أو تُحمِّمُ دونما خوفٍ من المطرِ
 ولا أزهارَ إلا خُلِّفَ واجهة زجاجيَّة
 يُراح إلى المقابر والسجون بهنَّ والمستشفياتِ .
 ألا .. ألا يا بائعَ الزهرِ
 أعندك زهرةٌ حيَّة ؟

أعندك زهرةٌ مما يربّ القلبُ من حُبِّ وأهواءِ ؟
أعندك وردةٌ حمراءُ سقّتها شمسٌ إستوائيّةٌ ؟

* * *

أأصرخُ في شوارع لندن الصّبا : « هاتوا لي أحبابي » ؟
ولو أني صرختُ فمن يُحيب صراخَ منتحِرٍ
تمرّ عليه طولَ الليلِ آلافٌ من القُطُرِ ؟

لندن ٢٨ - ١٢ - ١٩٦٢

يا ربَّ أَيُّوبَ قد أعيأ به الداءُ
 في غربَةٍ دونما مالٍ ولا سَكَنٍ ،
 يدعوك في الدُّجَنِ
 يدعوك في ظِلَمَاتِ الموتِ : أعباءُ
 نادٍ الفؤاد بها ، فارحه إن هتفا .
 يا منجياً فلنكَّ نوحٍ مزقَّ السُّدفا
 عني . أعدني إلى داري ، إلى وطني !

* * *

أطفالُ أَيُّوبَ من يرعاهمُ إلا نا ؟
 ضاعوا ضياعَ اليتامى في دجى شاتٍ .

يا ربّ أرجعْ على أيُّوبَ ما كانا :
 جيکورَ والشمسَ والأطفالَ راكضةً بين النَّخِيلَاتِ
 وزوجَه تتمرّى وهي تنبسمُ
 أو ترقبُ البابَ ، تعدو كلّها قُرْعاً :
 لعلّه رجعا
 مشاءةً دون عُكَّازٍ به القَدَمُ !

* * *

في لندنَ الليلُ مَوْتٌ نَزَعُهُ السَّهَرُ
 والبرْدُ والضَّجْرُ
 وغُرْبَةٌ في سواد القلب سوداءُ .
 يا ربّ يا ليتَ أنِّي لي إلى وطني
 عودٌ لتلثمني بالشمس أجواءُ
 منها تنفّستُ روحي : طينها بدّني
 وماؤها الدمُ في الأعراق ينحدرُ .
 يا ليتني بيّنَ مَنْ في مُرَبِّها قُبُوراً .

* * *

لأنّته منك ، حلّوْ عِنْدِي المَرَضُ ،
حاشا ، فلستُ على ما شئتُ أَعْتَرِضُ .
والمال ؟ رزقٌ سيأتي منه موفور ،
هيهات أن يذكر الموتى وقد نهضوا
من رقدة الموت كم مصّ الدماء بها دودٌ ومدٌ بساطُ
الثلج دنجورُ !
إني سأشفي ، سأنسى كلّ ما جرّحاً
قليبي ، وعرّتي عظامي فهي راعشةٌ والليل مقرر .
وسوف أمشي إلى جيکور ذات ضُحى !

لندن ٢٩ - ١٢ - ٦٢

نازلاً نازلاً من صحارى السماء ،
 من عصور جليدية ، من قبور
 نام فيها الهواء .
 أيها الثلج ، يا حشرات الدهور
 وانتحاب المساكين في كل كهف يغور
 في جبال السنين ،
 كن هيباً على أوجه المارين ،
 قنّع الخوف فيها بلون الرجاء .

* * *

أيها الثلج رحماك ، إني غريب
 في بلاد من البرد والجوع سكّرى ،

ان لي منزلاً في العراق الحبيب
صبيتي فيه تعلق صخرا .
آه ، لولاك يا داء ما عفت داري ،
ما تركت الزهور التي فتحت في جداري
والعصافير في ركن بيتي لمن اختصام .
مرّ يوم ، فشهراً ، فشهراً ، فعاماً

* * *

والزمان ارتقاءً بدون انتهاء
توفر الأرض عنه وتبكي السماء .
رب ، هل لي إلى منزلي من رجوع ؟
كم أمدّ الذراع وأهدم سقف الضلوع
لا أمسّ المدى أو أصيب الزمان ،
فهو شيء على الروح يسعى : هباءً وظلّمة .
ليت حصر النبوات لم يطور حلمه ...
وشتّ المعجزات الحواشي فكانت وكنا .

* * *

ليتني العازر انفض عنه الحمام ،
يسلك الدرب عند الغروب ،

يتمهلُ لا يقرع الباب : من ذا يؤوب
 من سراديب الموتِ عبر الظلام ؟
 لن تصدق أنني ... ستهوي يداها
 عن رثاجٍ ، وتصفرُّ لي وجنتها
 ثم تركض مذعورةً ، تشدُّ بخيط الدروب
 نحو قبوري ، وتطويه حتى تمسَّ الضريحَ الحطام .

* * *

إيه إقبال ، لا تئاسي من رجوعي
 هاتفاً قبل أن أقرع الباب : عاداً
 عازراً من بلاد الدجى والدموع ،
 سورُها كان ملجأً ، نجيعاً ، رماداً .
 قبليني على جبهةٍ صكتها الموتُ صكاً أليماً ،
 حدّقي في عيونٍ شهدن الردى والمعاد .
 عدتُ . لن أبرح الدارَ حتى لو أنَّ النجوم
 دحرجت مُسلماً من ضياءٍ وقالت :
 تحطّ السديما .

لندن ١٩٦٢/١٢/٣١

خيالُ الجسدِ العاري
يُطلَّ عليَّ محمولاً على موجٍ من النارِ
من المدفأةِ الحمراء ، ذاك الرَّحِمِ الضاري .

* * *

لكلِّ تَقَلُّبٍ من موجها خفقٌ من القلبِ .
تدحرجُ : عُريَّ النهدان ، بآنَ الجيدِّ والساقِ ،
تدحرجُ لي على الجنبِ ،
تدحرجُ ثمَّ صكَّ أضالعي ، وتثارُ أعراقُ
ويطفر للجبين دمٌ ، ويمروني
دوارٌ منه تصطكُ النواجدُ : خَوْفَ بَحَارِ

يُطلّ فيُبصر التّيار يزفر مثل تينٍ .
 ويصرخ آدمُ المدفونُ في : رضيتُ بالعاري ،
 بطردِي من جنان الخلدِ اركضِ إثرَ حواءِ .
 أريدكِ ، يا سراً في خيالي ليس يسقيني ،
 أريدكِ . ثمّ تطوى موجةٌ وتطير أشلاءُ
 فقاعاتٌ من النيران ، من شوقي وتذكاري .

* * *

وجاء الجسدُ العاري ،
 خيالاً جاء محمّلاً على موجٍ من النارِ
 من المدفأةِ الحمراء ، ذاك الرّحيمِ الضاري .

* * *

يميل عليّ كيف أشاء ، أعصره كما أهوى ،
 ولا يقوى
 على رفضي ، على تهديمِ عرشٍ من لظىٍ وارٍ
 أتوجّ فوقه الآمالَ راعشةً القوى شهوى .
 بحارٍ بيننا : ليلان من مُدنٍ وأمطارٍ ،

وإنك منك أقرب ، أنت بعض دمي ،
خيالي أنت ، أمنيات عمري ... كل أمنيه
بعاطفتي "تحرك" لا عواطفك الأنايه .
علام مددت بحرأ بيننا ، دنيا جليديه
أعانتق في دجاها جسمك العاري
يطل علي محمولاً على موج من النار
من المدفأة الحمراء ، من وهمي وأفكاري .

لندن ١٩٦٢/١٢/٣١

٧

البردُ ومَسْهَةُ النارِ
ورماد المدفأةِ الرَّمْلُ
تطويه قوافلُ أفكارِي .
أنا وحدي يأكلني اللَّيْلُ .

* * *

ويخبُّ المركبُ إلى داري :
برقٌ يتلامح في الآفاق ، يعرِّها
ويذرِّها
كرماد المبخرة الشكلى
في مقبرة تهب اللَّيْلُ

ألوان الموت وآهات الموتى فيها .

* * *

يا ليل ، لك طال الدربُ .
تعب الراكبُ ،
وعراقي شطّ ، وسماري
ناموا . وبقيتُ ولا زادُ
عندي ، وظمئتُ ولا ماءُ . ظمئ القلبُ :
لا سقيا غير شظيَّات البرق الواري .
يا أغصانَ الليل انهمري ثمرًا إذ يؤكل يزدادُ
السلةُ منه سأملاًها حتّى إن عدتُ إلى داري
فرحَ الأطفالُ به ، هتفوا : « بابا .. »
يا برق ، أما تخبو

فيغيبَ الدربُ ، ولا يبدو
كم منه على الساري بَعْدُ !

* * *

البرد وهمسةُ النار
ورماد المدفأةِ الرملُ
تطويه قوافلُ أفكارِي .
أنا وحدي يأكلني الليلُ !

لندن ١ - ٢ - ١٩٦٣

٨

ذكرك يا لمعة والدجى ثلجٌ وأمطارٌ ،
 ولندنٌ مات فيها الليل ، مات تنفسُ النورِ .
 رأيتُ شبيهةً لك شعرها ظلمٌ وأنهارٌ ،
 وعيناها كينبوعين في غابٍ من الخورِ .
 مريضاً كنت تثقل كاهلي والظهر أحجارٌ ،
 أحينٌ لريفٍ جيڪورِ
 وأحلم بالمراق : وراء بابٍ سدّت الظلماءُ
 باباً منه والبحر المزججُ قام كالسورِ
 على دربي .
 وفي قلبي
 وسوسٌ مظلمات غابت الأشياءُ

وراء حجابهنّ وجفّ فيها منبع النور .
 ذكرتُ الطلعةَ السمراءَ ،
 ذكرتُ يديك ترتجفان من فرقٍ ومن بردٍ
 تنزّه به صحارى للفراق تسوطها الأنواء .
 ذكرتُ شحوب وجهك حين زمّرَ بوقُ سيّاره
 ليؤذنَ بالوداع . ذكرتُ لذّع الدمع في خدي
 ورعشةَ خافقي وأنينَ روحي يملأ الحاره
 بأصداء المقابر . والدجى تلجُ وأمطار .

لندن ٢ - ١ - ١٩٦٣

بالعضل المقتول والسواعد المجدولة
 هرقلُ صارع الردى في غاره المحجب
 بظلمة من طحلب .
 وقام تموزُ يجرح فاغرٍ مخضب
 يصك (مَوْت) صكّة ، محجباً ذبوله
 وخطوّه الجليد بالشقيق والزنابق .

* * *

وانخطف الموتُ عليّ كالخطاف الباشق
 على المصافير ، أحال ظهري
 عمود ملتح أو عمود جمر ،

أحرّك الأطراف لا تطيعني ، مشلوله ،
مات الدم القوّار فيها ، أطفئ الشباب ،
وامتدّ نحو القبر دَرْبٌ ، بابٌ
من خشب الصليب : فالمسيحُ
ماتَ ، وفي الطوفان ضلّ نوحٌ .
وأغضيت نواظري الدليله ...
لعلّها تعتاد من دجاها
على دجى غطاؤها الضريح .

أيّ سلاح ؟ آه ، أيّ ساعدٍ ؟
أيّةُ أزهارٍ تمدهُ فاما
لتأكل الموت ؟ وأيّ ناصرٍ مساعدٍ ؟
سللتُ من قصائدي
سيفاً كأن البرقَ حدّادٌ رمى أصوله
وصبّ مقبضاً له وشفره .
بالشعر ، بالمبرق ، بالمُجلجل المدوي

رميت وجهه هوي نحوي
كأنه الستار في رواية هزيلة ،
رميت وجه الموت ألف مرة
إذا أطل وجهه البغيض
كأنه السيرين^(١) ، يسعى جسمي المريض
نحو ذراعينه بلا تردد
فأنتضي من سيفي المجرّد ،
ويقطر الشّعْر ولا يفيض ،
لأنني مريض
أودّع الحياة أو أشدّ بالحياة
بخطئه الموروث عن أموات
لم يدفع الشّعْر منايام وقد
جاءت إليهم غيلة !

١٩٦٣/١/٢

(١) السيرين ، كما في الاودية ، حورية بحر تغني فتجذب اليها من يسمعها .

يا غيمةً في أوّل الصباح
 تعريد الرياح
 من حولها ، تنتفّ من خيوطها ، تطير
 بها إلى سماءٍ تجوع للحريز ،
 سينطوي الجناح ،
 ستنتفّ الرياح ريشه مع الغروب ،
 يا غيمةً ما أمطرت ، قذوب .

* * *

فأبرقي وأرعدي وأرسلِي المطرُ
 ومزّقي ذوائبَ الشجرُ

وأغرقى السهوب
وأحرقى الثمر .
سترجنن بعدك السنايل الثقال بالحبوب ،
وتقطف الورود والأقاح
صبيّة يؤجّ في وجنتها الجنوب ،
وأنت ذرّة من الدماء والجراح .

* * *

وأنت يا شاعرَ واديك ، أما تؤوب
من سَفَرٍ يطول في البطاح ،
تراقص النّهر
وتلثم المطر ؟
أما سمعتَ هاتف الرواح ؟ :
« خامٌ وزنبيلٌ من التراب
وآخر العُمر ردى » . ويطلع القمر .
فأبرق ، ارعد ، أرسل المطر
قصائدَ احتوى مداها دائرة العُمر ،

يا غيمةً في أول الصباح ،
يا شاعراً همّ بالرواح ،
وودّع القمر !

لندن ١٩٦٣/١/٢

منزل الاقننان

في جيکور

خرائبُ فانزعِ الأبواب عنها تغدُ أطلالا ،
خوالٍ قد تصكُّ الريحُ نافذةً فتُسرعها إلى الصبحِ
تطلُّ عليكَ منها عينُ يومٍ دائبِ النوحِ .
وسلمها المحطّم ، مثل برجٍ دائريٍّ ، مالا
يثنّ إذا أتته الريح تصعده إلى السطحِ ،
سفينٌ تعرك الأمواجُ ألواحهُ

* * *

وتملأ رُحبةَ الباحة
ذوائبُ سدرَةٍ غبراءَ تزحها المصافيرُ

تعدّ خطي الزمان بسفّساتٍ ، والمناكير
كأفواهٍ من الديدان تأكل جثّة الصمتِ
وتغلّ عالم الموتِ
بهسّسة الرّاء ، فتفزع الأشباح تحسب أنه النورُ
سيشرق ، فهي تمسك بالظلال وتهجر الساحة
إلى الغرف الدجيّة وهي توقظ ربّة البيتِ :
« لقد طلع الصّباح » . وحين يبكي طفلها الشّبَحُ
تهدهده وتنشد : « يا خيول الموت في الواحه
تعالوا واحليني ، هذه الصحراء لا فرحُ
يرفّ بها ولا أمنٌ ولا حبٌّ ولا راحة » .

ألا يا منزلَ الأقنان ، كم من ساعدٍ مقتولٍ
رأيتَ ومن خطيٍّ هتّزَ منها صخرُك الهاري !
وكم أغنيّةٍ خضراءَ طارت في الضحى المغسولِ
بالشمس الحريفيّة ،
تحدّث عن هوى عاري
كماء الجدول الرقراق ! كم شوقٍ وأمنيّة !

وكم ألم طوئنتَ وكم سُقيتَ بمدمعٍ جارِي ؟
 وكم مهد تهزّز فيك : كم موتٌ وميلادٌ
 ونارٌ أوقدتُ في ليلة القُرّ الشتائيهِ !!
 يدندنُ حولها القصّاص : « يُحكى أن جنيّه ... »
 فيرتجف الشيوخ ويصمت الأطفال في دَمَسٍ وإخلاق
 كأنّ زئير آلاف الأسودِ يرِنُ في وادٍ
 وقد ضلّوا حيارى فيه ، ثمّ ترنّ أغنيّه :
 « أتى قرّ الزمان ... » ودندن القصّاص ! « جنيّه »
 وبؤسهم المرير : الجوع والأحزان والسَقَمُ
 وطفلٌ مات لما جفّ درٌ — ماتت المعزى
 وجاعت أمّه فالتدّي لا لبَنٌ ولا لَحْمٌ .
 سمعتُ صراخها والليل ينظر نجمه غمزا ،
 وولولة الأب المفجوع يخنق صوته الأَلَمُ .

ولو خيّرْتُ أبَدلتُ الذي ألقى بما ذاقوا ،
 ممضٌ ما أعاني : « شلّ » ظهرٌ وانحنى ساقُ .
 على المكّاز أسمى حين أسمى ، عاثر الخطوات مرتجفا

غريبٌ غيرُ نارِ الليلِ ما واساه من أحدٍ
 بلا مالٍ ، بلا أملٍ ، يقطعُ قلبه أسفاً .
 أَلستُ الرَّاكضَ العداءَ في الأَمسِ الذي سلفا ؟
 أأمكثُ في ديارِ الثلجِ ثم أموتُ من كَمَدِ
 ومن جوعٍ ومن داءٍ وأرزاءٍ ؟
 أأمكثُ أم أعودُ إلى بلادِي ؟ آه يا بلدي
 وما أملُ العليلِ لديكَ شحَّ المالِ ثم رَمَتْهُ بالدامِ
 سهامٌ في يدِ الأقدارِ ترمي كلَّ من عطفَا
 على المرضى وشدَّ ضلوعِ الجائعينِ بصدْرهِ الواهي
 وكفّفَ أدمعَ الباكينِ يفسلُها بما وكفا
 من العبراتِ في عينيه — إلا رحمةُ الله ؟؟

ألا يا منزلَ الأقنانِ ، سقتك الحيا سحْبُ
 تروّي قُبْرِ الظمآنِ ،
 تلثمه وتنتحبُ !

لندن ١٩٦٣/١/٣

وصية من مختصر

يا صمْتُ ، يا صمْتَ المقابر في شوارعها الحزينه ،
أعوي ، أصيح ، أصيح في لَهْفٍ فأسمع في السكينه
ما تنثر الظلماءُ من ثلجٍ وقارٍ
تصدي عليه خطىَّ وحيداتٌ ، وتبتلع المدينه
أصداءَ هنّ ، كأنّ وحشاً من حديدٍ ، من حجارٍ ،
سفّ الحياه فلا حياه من المساء إلى النهار .
أين العراق ؟ وأين شمسُ ضحاه تحملها سفينه
في ماء دجله أو بُيُوبَ ؟ وأين أصداء الغناء
خفقتْ كأجنحة الحمام على السنابل والنخيل
من كلّ بيتٍ في العراق ؟

من كلّ رابيةٍ تدثرُها أزاهيرُ السهول ؟
إنّ متّ يا وطني فقيرٌ في مقابرِك الكئيبة
أقصى مناي . وإنّ سلتُ فإنّ كوخاً في الحقولِ
هو ما أريد من الحياة . فدى صحارك الرحيبه
أرباضُ لندن والدروب ، ولا أصابتك المصيبة !

* * *

أنا قد أموت غداً ، فإنّ الداء يقرض ، غَيْرَ وانِ ،
حبلاً يشدّ إلى الحياة حطام جسمٍ مثلِ دارِ
نخرتْ جوانبها الرياحُ وسقفها سيلُ القطارِ ،
يا إخوتي المتناثرين من الجنوب إلى الشمالِ
بين المعابر والسهول وبين عالية الجبالِ ،
أبناء شعبي في قراه وفي مدائنه الحبيبه ...
لا تكفروا نَعَمَ العراقِ ...
خير البلاد سكنتموها بين خضراءٍ وماءٍ ،
الشمس ، نور الله ، تغمرها بصيفٍ أو شتاء ،
لا تبتغوا عنها سواها .

هي جنّةٌ فحذارٍ من أفعى تدبّ على ثراها .
أنا ميتٌ ، لا يكذب الموتى . وأكفر بالمعاني
ان كان غير القلب منبعها .
فيا ألقى النهارِ
أغمر بعسجدك العراق ، فإنّ من طينِ العراقِ
جسدي ومن ماءِ العراق ...

١٩٦٣/١/٢

الشاهدة^(١)

« يا قارئاً كتابي
ابكٍ على شبابي . »
شاهدة بين القبور تبكي
تستوقف المابرَ . يا صحابي
غضوا الخطى ولتصتموا : إن القرون تحكي
في جملةٍ مُخطت على الترابِ .
من نام في القبر ودودَ القبرِ ؟
يُسأل لا ينطق بالجواب ؟ !
سيان عنده ائتلاقُ الفجر
وظلمة الليل ، بلا ثيابٍ

(١) لوحة توضع عند القبر يكتب عليها اسم الميت أو حكمة أو أبيات
من الشعر .

بلا طعام ، لا هوى ، لا حقد .
أفقر أهل الفقر
فيه وأغنى الأغنياء . تعدو
في قبره الجردان ، وهو غاف
نام من الديدان في لحافٍ ؟ !

* * *

لي نومةٌ مع التراب في غدٍ
صباحها أولُ ليل الأبد ،
يمر بي الشيوخ والشبانُ
يثرثرون : يدها فوق يدي
وعينها .. « وَيُنْفَتِ الدخانُ !
رُبَّ فقيٍّ مُورَّدٍ
يقرأ من شعري على الصحابِ ،
يقرأ في كتابي
قصيدةٌ خضراء عن جيڪور
غافيةٌ تحت غصونِ النورِ
تحلم بالسحابِ .
مرَّ على قبري فقال : قَبْرُ !

وأين من هذا الرميم الشعرُ
 يدفق بالعواطفِ
 كهبةِ العواصفِ القواصفِ ؟ «
 مرَّ على قبري فكاد الصَّخرُ
 يصرخ : « تحتي نام هذا الشاعرُ
 صاحبُ هذه القوافي ، يسمعُ
 ما قلموه فالميونُ تدمعُ
 في عالمٍ لا يرجعُ المسافرُ
 منه ولا للنوم فيه آخرُ .
 رفقا به ، دعوه في رقدته
 تؤنسه الديوانُ في وحدته
 كان له قلبٌ وكان أمسُ ،
 حتى إذا استنزف من مدته
 توسد الترابا .
 لا تقرأوا الكتابا «

* * *

ثمَّ تغيبُ الشمسُ !

دوم - ١٩٦٣/١/٦

أسمعه يبكي

أسمعه يبكي ، يناديني
في ليلٍ المستوحِد القارس ،
يدعو : « أبي كيف تخلّيني
وحدّي بلا حارس ؟ » .
غيلان ، لم أهجركَ عن قصدٍ ...
الداء ، يا غيلان ، أقصاني .
لني لأبكي ، مثلما أنت تبكي ، في الدجى وحدّي
ويستثير الليلُ أحزاني .
فكلّما مرَّ نهارٌ وجاء
ليلٌ من البردِ ،

أَلَيْسْتُني أَحسب ما ظَلَّ في جَنِّي من النَقْد :
أَيْشْتري هَذَا القَلِيلُ الشِّفاء ؟
سَأَطْرُقُ البابَ عَلى المَوْت في دَهْلِيزِ مَسْتَشْفَى
في البَرْدِ وَالظُّلْماءِ وَالصَّمْتِ ،
سَأَطْرُقُ البابَ عَلى المَوْتِ
في بُرْهَةٍ طالَ انتِظارِي بِها في مَعْبَرٍ من دِماء ،
وَأَرْسِلُ الطَّرْفَا
فَلا أَرى إِلَّا الدَّجى وَالخُواءَ .
بَا وَيْلَتِي إِنْ يُفْتَحُ البابُ
فَأَبْصُرُ الأَمْواتَ من قُرْجَتِهِ
يَدْعونِي : « مالِكُ تَرابٍ »
بِالمَوْتِ ؟ في هِجْمَتِهِ
ما يَعدِّلُ الدُّنْيا وما فيْها :
دَفءٌ ، نُعاسٌ ، خَدَرٌ وارْتِحاء !
أَوْشَكُ أَنْ أَعْبُرَ في بَرْزَخٍ من جَامِداَتِ الدِّماءِ
تَمْتَدُّ نَحْوي كَفْها ، كَفَّ أُمِّي بَيْنَ أَهْلِيا :
« لا مالَ في المَوْتِ ، ولا فيهِ داء ! »

ثم تسدّ البابَ كَفُّ الطيب
تجرح في جسمي ،
وهاقفاً باسمي
أسمع صوتاً ناعساً ، قد أجيبُ
فيهِزَمُ الموتُ على صوتي ،
وربما استسلمتُ للموت !

درم ١٩٦٣/١/١

كُورَم

كُورَم ...

بنفسيَ مما عزائي بَرَمُ
فندي ذراعيكِ ولتحضيني
إلى هوةٍ من ظلام العدم ،
فما قيمة العمر أقضيه أمشي
بعكّازة في دروب المهَرَم ؟
أهذا شباي ؟ وأين الشباب ؟
ألا 'حُب' ، لا زهو ، لا عنفوان ؟
أهذا مشيبي ؟ حصدتُ السراب
إذا كان معنى المشيب الهوان ؟

أعقبى المشيب الأسمى والندم ؟
أما من شبابي الذي مرّ ذكرى ؟
أما منه مالٌ وبُقيّا شمم ؟
أكان الذي منه خلّفتُ شعرا
وبيتاً وراء الرياح انهدم ؟
درم ...

تمنّيتُ لو متُّ بين الثلوج
على جدولٍ جمّدتَه النَّسَمُ ،
فروحي تجوب المروج
وتأوي إلى رمةٍ في الظُّلَم .
ومن أين للروح هذا البقاء ؟
فناء ، فناء

سوى قصّةٍ قد تشير السّام
يُردّدها سامرٌ في الشتاء :
« لقد خطّ شعراً له من هباء ،
وكانت له زوجةٌ وابنٌ عم
وطفلانٍ .. لا ، لا ، نسيتُ . . ابنتانُ

وطفلٌ . « ، ويحبو لديه الضَّرَمُ ،
 فيخفو على المسند السامرُ
 وتفتحُ بوابةٌ من دخانٍ
 عليها الدجى حائرُ
 يُبعثرُ أنجمه من خلال الضباب .
 أهذا هو الشاعر ؟
 حديثٌ يُنمِ الصعاب
 إذا مات ، أو عاش فهو الألم .
 دَرَمَ
 بنفسه مما عراني بَرَمَ !

بيروت ١٩٦٣/١/٥

قصيدة من درم

مِنْ دَرَمٍ أَكْبَهَا قَصِيدَهُ
كَالنَّجْمِ فِي آفَاقِهِ الْبَعِيدِهِ
لَا يَبِيعُ الدَّفْعَ وَلَا يُنِيرُ ،
يُلْمَحُ الصَّغِيرُ
فَيَبْسُطُ الْكَفَّ لَهُ ، يُشِيرُ
يَقْطُرُ فِي أَحْلَامِهِ السَّعِيدِهِ
يَعْلُقُ بِالضَّبَابِ
كَتُفِّهِ السَّرَابِ
تَضَلُّلَ الْقَوَافِلِ الشَّرِيدِهِ .

* * *

اليأسُ يوحىها أو الملأُ
 كأنّتها في الظلمة الظلالُ
 تعمّقُ الظلمةَ حين تُتشرُّ .
 أظلُّ ما يُقالُ
 في نفس شاعرٍ يموتُ "عمره" ، يُبعثرُ
 ويُقبَرُ ؟
 يمشي على عكازةٍ ويعثرُ ،
 أيامه إلى رده سَفَرُ ،
 وعيشه انسلالُ
 عبْرَ جدارِ الموتِ ما يزالُ ؟
 شاء الردى ، حاول أن يُريده ،
 لكنّ وحشاً ضارياً يُزجرُ
 في كهفه ، وحيةً من بابل التليده -
 يطير نحو الموت منه شرَرُ ،
 تقفُ في وجه الردى وتصفُرُ ،
 فيكتب القصيدة
 يريد أن يحدّد البقاء ، أن يُعيده ،

أن يهدي القوافل الشريده
فلا تنيه في صحارى العدم .
بقبره في درم .

* * *

من درم أكتبها قصيده
كالنجم ضل في سديم العدم .

درم ١٩٦٣/١/٥

قالوا لايوب

قالوا لايوب : « جفاك الآلهة ! »
فقال : « لا يحفو
من شدّة بالآيمان ، لا قبضتاه
مُرخى ولا أجفانه تغفو » .
قالوا له : « والداء من ذا رماه
في جسمك الواهي ومن ثبّته ؟ »
قال : « هو التفكيرُ عما جناه
قابيلُ والشاريُ سُدىّ جنّته .
سيُهرّم الداء : غداً أغفو
ثمّ تفيقُ العينُ من غفوّه »

فأسحبُ الساقَ الى خكنوه
 أسأل فيها الله أن يصفو .
 عكّازتي في الماء أرميها
 وأطرقُ البابَ على أهلي .
 إن فتحوا البابَ فيا ويئي
 من صرخةٍ ، من فرحةٍ مستٍ حوافيها
 دوامةَ الحزنِ .. وأأتوبُ ذاك ؟
 أم أن أمنيته
 يقذفها قلبي ، فألفيها
 ماثلةً في ناظري حيّة ؟
 غيلان ، يا غيلان ، عانقُ أباك ! ،

يا رب لا شكوى ولا من عتاب ،
 ألسْتَ أنت الصانعَ الجسماً ؟
 فمن يلوم الزارع التمتاً
 من حوله الزرعُ ، فشاء الخراب

لزهرة والماء للثانيه ؟
هيهات تشكو نفسيَ الراضيه .
إني لأدري أنّ يومَ الشفاء
يلحُ في الغيبِ ،
سينزع الأحزانَ من قلبي
وينزع الداءَ ، فأرمي الدواء ،
أرمي العصا ، أعدو إلى دارنا وأقطف الأزهار في درّبي
ألمَ منها باقةً فاضره
أرفعُها للزوجةِ الصابره
وبينها ما ظلّ من قلبي !

دوم ١٩٦٣/١/٦

الليلة الأخيرة

وفي الصباح يا مدينة الضباب
والشمس أمنية مصدور تدوير رأسها الثقيل
من خلل السحاب ،
سيحمل المسافر العليل
ما ترك الداء له من جسمه المذاب
ويجبر الدخان والحديد
ويجبر الأسفلت والحجر .
لعله يلمح في درام من نهر ،
يلمح وجه الله فيها ، وجه الجديد

في عالم النقود والمحور والسهر .

رُبَّ صباح ، بعد شهر ... بعد ما الطيب
يراه - من يعلم ماذا خبأ القدر ؟ -
سيحمل الحقيقة المليئة
بألف ألف رائع عجيب ،
بالخلي والحجر ،
بالشعب الخبيث
يفجأ غيلان بها - يا طول ما انتظر !
يا طول ما بكى ونام تملأ الدموع
برنة الأجراس أو بصيحة الذئاب
عوالم الحلم له ، وتشر القلوع
يحوب فيها سندباد عالم الخطر :
هناك فارس النحاس يرقب العباب
ويُشرع السهم ليرمي كل من عبّر !

إن يكتب الله لي العودَ الى العراق
 فسوف ألتئم الثرى ، أعانق الشجر ،
 أصبحُ بالبشَر :
 « يا أرجَ الجنة ، يا إخوة ، يا رفاق ،
 الحسنُ البصريّ جابَ أرضَ واقٍ واقٍ
 ولندنَ الحديدِ والصخر » ،
 فما رأى أحسنَ عيشاً منه في العراق .
 ما أطولَ الليلَ وأقصى مديّةَ السهرِ
 صديئةٌ تحزّ عينيَّ الى السحر !

وزوجتي لا تطفئ السراج : « قد يعودُ
 في ظلمة الليل من السقر . »
 وتُشعل النيرانَ في موقدنا : « برودُ
 هو المساء ، وهو حوى الدفءَ والسمَر . »

وتتطفئ مدفأتي ، فأضرمُ اللهبُ

وأذكر العراق : لنت القمر الحبيب
من أفق العراق يرتقي عليّ : آو يا قمر
أما لثمتَ وجّه غيلان ؟ أنا الغريب
يكفيه ، لو لثمتَ غيلان ؟ أن انتثر
منك ضياءٌ عبّرَ شبّاك الأبِ الكئيب
ومسّ منه الثغرَ والشعرُ :
أحسّ منه أنّ غيلان (شذى وطيب
من كفّ اللبنة انتشر)
عابتَ شعري ، صاح : « آو جاء
أبي ، وعاد من مدينة الحجر ! »
وشدّ بالرداء .
ما أطول الليلَ وأقصى مدينة السهر
ومدية النوم بلا قمر !

لندن ١٩٦٣/١/٤

للقصيدة والعنقا.

جنازتي في الغرفة الجديدة
تهتفُ بي أن أكتب القصيدة ،
فأكتبُ
ما في دمي وأشطبُ
حتى تلينَ الفكرةُ العنيدة .
وعرفني الجديد
واسعةٌ ، أوسعُ لي من قبْري .
إذا اعتراني تَعَبُ
من يقظةٍ فالنوم منها أعذبُ ،
ينبع حتى من عيون الصخرِ ،

حتّى من المدفأةِ الوحيدِ
تقوم في الزاوية البعيدة .

* * *

وترفع الجنازةُ اليابسةُ المهْدَمَ
من رأسها ، تنوّل إلى الجدرانِ
والسقفِ والمرآةِ والقناني .
ما للزوايا مظلمه
كأنهنّ الأرضُ للإنسانِ
تريد أن تحطّنه
بالمال والخمور والغواني .
والكذب في القلب وفي اللسانِ ،
تريد أن تُعيدَه
للغابة البليده ؟
وصفحةُ المرآةِ ما لها تطلّ خاويه
ما أثمرت بغانيه ،
بالشفةِ المرجانِ

تُنِيرُهَا ، كَالشَّفَقِ ، الْعَيْنَانِ
 وَبِالنُّهْودِ الْعَارِيهِ ؟
 كَهَذِهِ الْمَرْأَةِ
 سَتُصْبِحُ الْأَرْضُ بِهَا حَيَاةً .
 وَفِي اللَّيَالِي الدَّاجِيَةِ ،
 فِي ذَلِكَ السَّكُونِ لَيْسَ فِيهِ
 إِلَّا " الرِّيحُ الْعَاوِيَةِ ،
 سَيَفْزَعُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ
 وَيَسْحَبُ الْمَوْتَ وَيَنْفُو فِيهِ
 مِثْلَ دُثَارٍ فِي اللَّيَالِي الشَّاتِيَةِ

* * *

وَهَكَذَا الشَّاعِرُ حِينَ يَكْتُبُ الْقَصِيدَةَ
 فَلَا يَرَاهَا بِالْخُلُودِ تَنْبُضُ ،
 سَيَهْدُمُ الَّذِي بَنَى ، يَقْوُضُ
 أَحْجَارَهَا ثُمَّ يَلُغُ الصَّمْتَ وَالسَّكُونَا .
 وَحِينَ تَأْتِي فِكْرُهُ جَدِيدَهُ ،

يسحبها مثلَ دثارٍ يحجب العيونَا
فلا ترى . إنْ شاء أن يكونَا
فليهدم الماضيَ ، فالأشياء ليس تنهضُ
إلا على رمادها المحترقِ
منتثراً في الأفقِ ..
وتولد القصيده .

درم ١٠/١/١٩٦٣

هرم المغني

بالأمس كنتُ إذا كتبتُ قصيدةً فرحَ الدمُ
فأغتمُ
وأهيم ما بين الجداول والأزاهر والنخيلُ
أشدو بها ، أترنمُ :
زادُ لروحي منذ سَقَسَقَةِ الصباحِ إلى الأصيل .
زادُ .. ولكنْ عنه قد صدفت ، تجوع ولا تريدُ
ما يُنعش الآمالَ فيها ،
هي حشرجاتُ الروح أكتبها قصائد لا أفيد
منها سوى الهُزء المربى على ملامح قارئها .
هرمَ المغني ، هدّ منه الداءُ فارتبكَ الفناء .

بالأمس كان إذا ترنم يُمسك اللّيلُ الطروبُ
 بنجومه المترنّحات فلا تخرّ على الدروب ،
 واليوم يهتف ألف آهٍ لا يهزّ مع المساء
 سَعَفَ النّخيل ولا يُرجّحُ زورقَ العرس المحلّى
 بعيون آرامٍ ودفلى
 ودراكبٌ ارتعدت حناجرُها فأرعدت الهواء .

هرم المغني فاسمعه ، برغم ذلك ، تسعدوه ،
 ولتؤمّموه بأنّ من أبدٍ شبابٌ من لحونٍ
 وهوى تفرّق مقلّته له وينفخ منه فوه .
 هو مائتٌ ، أفتبخلون
 عليه حقّ بالحطام من الأزاهر والغصون ؟
 أصغوا إليه لتسمعه
 يرثي الشبابَ ولا كلامَ سوى نشيجٍ : « بالعيون
 سلّم عليّ إذا مررت . » ،
 أتى وسلّم .. صدّقوه !
 هرم المغنّي فارجموه .

درم ١٦٩٣/١/٥

قصيدة إلى العراق الناصر

علاءُ « قاسم » يُطلقون النارَ ، آمَ ، على الربيعِ .
سَيَذُوبُ ما جمعه من مالٍ حرامٍ كالجليدِ
ليعود ماءً منه تَطْفَحُ كلُّ ساقيةٍ ، يُعيد
أَلقَى الحَيَاةِ إلى الفُصونِ اليابساتِ فتستعيد
ما لُصَّ منها في الشتاء القاسمِ . . فلا يضيع .
يا للعراقُ !

يا للعراقُ ! أكادُ ألحُ ، عَبْرَ زاخرةِ البحارِ ،
في كلِّ مُنْعَطَفٍ ، ودربٍ ، أو طريقٍ ، أو زقاقٍ
عَبْرَ الموانئِ والدروبِ ،
فيه الوجوه الضاحكات تقولُ : « قد هربَ التتارُ »

والله عاد إلى الجوامع بعد أن طلع النهار ،
 طلع النهار فلا غروب ! ،
 يا حفصة ^(١) ابتركي فتفرك زهرة بين السهوب ،
 أخذت من العملاء ثأرك كف شعبي حين ثار
 فهوى إلى سقر عدو الشعب ، فانطلقت قلوب
 كانت تخاف فلا تحن إلى آخر عبر الحدود ،
 كانت على مهل تذوب ،
 كانت إذا مال الغروب
 رفعت إلى الله الدعاء : « ألا أغشنا من ثمود ،
 من ذلك المحنون يعشق كل أحمر ، فالدماء
 تجري وألسنة اللهب تمتد » ، يُعجبه الدمار .
 أحرقه بالنيران تهبط ، كالبحيم ، من السماء ،
 واصرعه صرعاً بالرتصاص ! فإنه شبح الوباء .

* * *

هرع الطبيب إليّ - آه - ، لعلّه عرف الدواء
 للداء في جسدي فجاء ؟ -

(١) عذراء عربية من الموصل ، صلبها عملاء قامم ومثوا بها .

مرع الطبيب إليّ وهو يقول : « ماذا في العراق ؟
الجيشُ ثارَ ومات « قاسم » .. » — أيّ بُشرى بالشفاء !
ولكدتُ من فرّحي أقوم ، أسيرُ ، أعدو دون داء .
مرحى له .. أي انطلق !؟

مرحى لجيش الأمة العربية انتزع الوثاق !
يا اخوتي بالله ، بالدم ، بالعروبة ، بالرجاء ،
هَبُوا فقد صُرِعَ الطفاهُ وبددَ الليلُ الضياء !
فلتحرسوها ثورةً عربيّةً صَعِقَ « الرّفاق »
منها وخرّ الظالمون ،

لأنّ « تمّوز » استفاق
من بعدِ ما سرق العميل سناه ، فانبعث العراقُ

لندن - مستشفى سان ماري ١٩٦٣/٢/٨

فهرست

۵	رحل النهار
۹	هدیر البحر والأشواق
۱۲	نداء الموت
۱۴	ربیع الجزائر
۱۸	خذیني
۲۲	حامل الخرز الملون
۲۴	سفر أيوب
۵۳	منزل الأقنان
۵۷	وصية من مختصر
۶۰	الشاهدة
۶۳	اسمعه يبكي
۶۶	درَم
۶۹	قصيدة من درَم
۷۲	قالوا لأيوب
۷۵	الليلة الأخيرة
۷۹	القصيدة والعنقاء
۸۳	هرَم المغني
۸۵	قصيدة إلى العراق الشاعر

دواوين ومجموعة اعمال صدرت عن دار العودة

دواوين	عمر ابوريشة	دواوين	نازك الملائكة
»	محمود درويش	»	حسن القرشي
»	صلاح عبدالصبور	»	احمد عبدالمعطي
»	سميح القاسم	»	حجازي
»	عبدالوهاب البياتي	مؤلفات	احمد الشقيري
»	توفيق زياد	»	سيد احمد الحردلو
»	معين بسيسو	»	الطيب صالح
»	عزالدين المناصرة	»	اميل حبيبي
»	محمد الفيتوري	»	توفيق
»	سليمان العيسى	»	طلا
»	حنا ابو حنا	»	الدكتور
»	امال الزهاوي	»	غسان
»	امل جراح	»	مطاح

Bibliotheca Alexandrina



0634793

716
58m